

# المسجد في فجر الاسلام

للكنور على حسنى الخربوطلى

مدرس التاريخ الاسلامى

## مسجد المدينة أول المساجد في الاسلام :

كان مسجد المدينة هو أول مسجد أنشأه المسلمون في صدر الاسلام . فقد خرج محمد صلى الله عليه وسلم وصديقه أبو بكر مهاجرين من مكة الى يثرب ، فوصلا في نهاية رحلتها الشاقة الى ( قباء ) وهو تل على بعد ميلين من مكة ، وكان مصيفا لأهل مكة ، يرسلون اليه مرضاهم اذا كان هواؤه عليلا نقياً ، كما امتاز بالخصوبة فكان يمد مكة بما تحتاجه من فاكهة . وحينما بلغ الصديقان هذا المكان الحصب ، بركت ناقة محمد ( القصواء ) وأبت الاستمرار في المسير ، ورأى الرسول أن يكث في قباء حتى يتأهب لدخول المدينة . وأقام المسلمون في هذا المكان مسجدا سموه مسجد ( التقوى ) تخليدا لهذه الذكرى المجيدة . وتذكر معظم المصادر العربية أن الرسول هو الذى أنشأ المسجد ثم أكمله عمار بن ياسر ، وقد جاء ذكره في الآية ١٩٨ من سورة التوبة .

كانت الأرض التى أقيم عليها مسجد المدينة الجديد ملكا لأخوين يتيمين هما سهل وسهيل ، سألهما الرسول عن ثمن الأرض فأبديا استعدادهما للتبرع بها فقالا : لا نطلب ثمننا لها الا ثوابا من الله . لكن الرسول حدد ثمنها بعشرة دنانير دفعها أبو بكر من ماله (١) . وكانت هذه الأرض تنتشر عليها القبور وأشجار النخيل ، فنقلت الجثث من القبور ، وقطعت أشجار النخيل ، ثم بنى محمد مسجدا بسيطاً في مظهره وطريقة بناءه ، يتناسب مع الدين اليسر السمح الذى يدعو اليه (٢) .

(١) الطبرى - ٢ ص ١٦٣

(٢) انظر كتاب ( حياة محمد ) لارفنج الذى قمنا بترجمته ، ص ١٢٥

كان هذا المسجد عبارة عن ساحة مكشوفة الى السماء تحيط بها جدران من اللبن ، وقده أمر الرسول فيما بعد أن تمتد السقوف المسطحة من الأبنية المجاورة حتى تحيط كل الساحة المكشوفة اتقاء للشمس . وكان السقف مكونا من جذوع النخل التي اتخذت كدعائم يرتكز عليها الجريد والطمى وبلغت مساحة المسجد حوالي مائة ذراع مربع ، وكان له ثلاث أبواب ، أحدها نحو الجنوب حيث أصبحت القبلة فيما بعد ، والثاني كان يسمى باب جبريل ، والثالث باب الرحمة .

اشترك الرسول بيديه في بناء هذا المسجد . وعند ارساء الأساس حمل الرسول حجرا ضخما فالتصق الغبار بصدرة ، وأراد الصحابة نهييه عن ذلك لكنه أبى ، وأمر أبا بكر أن يضع حجره الى جنب حجر الرسول ، ثم أمر عمر ابن الخطاب أن يضع حجره الى جانب حجر أبي بكر ، ثم وضع أشرف المسلمين أحجارهم ، وتبعهم عامة المسلمين ، وكان الرسول يحمل اللبنة في ثوبه ، فيحذو المسلمون حذوه (١) .

أصبح هذا المسجد فيما بعد مقبرا للرسول وحرما نبويا . ورغم أنه قد أدخل عليه فيما بعد اصلاحات كثيرة فزادت مساحته الا أنه ظل دائما يحمل اسم ( المسجد النبوي ) ، فقد بناه الرسول بيديه (٢) .

تيز كل شيء في المسجد في بداية الأمر بالبساطة التامة . فكان يضاء في الليل بسعف النخيل ، فلم تكن قد عرفت المصاييح والزيت بعد . وكان الرسول يخطب في المسلمين وهو واقف على الأرض مستندا بظهره الى جذع نخلة من الجذوع التي استخدمت كأعمدة للمسجد وبعد فترة ، أقام منبراً جعله يرتفع ثلاث درجات عن المسجد ، وكان الرسول يخطب من فوق المنبر جالسا أو واقفا أو مستندا الى عصا .

لا نستطيع أن نجزم اذا كان الرسول قد اتخذ له محرابا لتحديد اتجاه القبلة في مسجده أم لا . وكان الناس اذا قاموا للصلاة وقفوا صوفوا متوازية مولين وجوههم شطرا الجدار المواجه لبيت المقدس ثم حول الاتجاه فيما بعد الى مكة .

(١) الطبري - ٢ ص ١٦٥

(٢) أرنج : حياة محمد ص ١٢٦

وكان بلال الحبشى يعتلى السقف المسطح ويدعو المسامين بصوته الندى الى الصلاة . من هذا الوصف يمكن أن نرى مميزات المسجد الجامع فى أبسط صورها ، وهى الصحن والسقف لوقاية المصلين والمنبر (١) .

### المساجد فى الأمصار الاسلامية فى فجر الاسلام :

فى عهد الخليفين أبى بكر وعمر بن الخطاب خرجت الجيوش الاسلامية من الجزيرة العربية الى الأقطار المجاورة الخاضعة للدولتين الفارسية والرومانية فتفتحتها وتشر فيها الاسلام والحضارة العربية . وكان المسلمون يحرصون على بناء مسجد جامع عند انشائهم المدن فى الأمصار المفتوحة لأنه أبرز صورة يعبرون بها عن سيادة الدين الاسلامى (٢) .

تقدم العرب فى الأراضى الفارسية والرومانية ، وأسقط هذا التقدم فى حوزتهم عددا لا يحصى من المبانى التى شادها صناع أكثر منهم فنا ، فورث العرب الخبرة والمهارة الفنية . وقد كان من نتيجة هذا الاندماج أن تطورت حاجات المجتمع الاسلامى الدينية التى حددها مسجد المدينة واصطبغت بصبغة الأقاليم التى فتحوها ، فنشأ بمرور الزمن فن يطلق عليه اسم الفن الشرقى أو الفن العربى أو الاسلامى . أما مادة البناء فسواء أكانت من الحجر أو الآجر أو اللبن فهذه كانت تخضع للظروف الغالبة فى كل منطقة ، ففى الشام تأثرت العمارة الاسلامية بطراز الشام المسيحى البيزنطى وما سبقه من الأطرزة الوطنية والرومانية . وفى العراق وفارس تأثرت بالطراز النسطورى والساسانى الذى أقامته التقاليد هناك . وفى مصر كان السكان الأقباط من أهل البلاد يقومون بعمل الزخارف البديعة .

كانت ثقافة وفنون الأمصار المفتوحة ذات طابع يونانى وسريانى وقبطى وفارسى ، نستطيع أن نجمل وصفها بقولنا أنها ثقافة هيلينية مسيحية . وقبل أن يلم العرب بالثقافة الهيلينية كانوا قد ألفوا منذ زمن طويل الفن الهيلينى وعمائره . ويستطيع المرء أن يتبين جليا التفاعل والتجاوب بين الاسلام والنصرانية فى ميدان الفن . ذلك أن جيوش الاسلام رأت فى المدائن ودمشق وبيت المقدس ومصر

(١) حتى : تاريخ العرب ص ٣٢٣

(٢) انظر كتابنا ( تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى ) ص ٢٢٧

أعمال الفن من عمارة ونحت ، وشاهدت بدائع الصناعات كالنسيج والصبغة ، فأيقظ ذلك كله في نفوس العرب الرغبة في تقليدها وجلبها لأنفسهم . ذلك أن العرب على النقيض من الشعوب الهمجية ، تجنّبوا التخريب ، وحافظوا على تلك الكنوز الفنية ، وأضافوا عليها طابعهم الخاص (١) .

ظهرت عدة مدارس متميزة للفن العربي وهي : ( ١ ) السورى المصرى وكان يحتذى فيه المثل اليونانى الرومانى وما سبقه من اطرزة وطنية . ( ٢ ) الطراز العراقى الفارسى المأخوذ من الطراز الساسانى والطرازين الكلدانى والآشورى القديمين ( ٣ ) طراز الأندلس واقريقيه الشمالية ويتضح فيه الأثر الوطنى المسيحى والتوطى وكان يسمى الطراز المغربى ( ٤ ) الطراز الهندى وتبدو فيه معالم الطراز الهندوسى (٢) .

كان أول مسجد جامع أنشأه المسلمون فى الأمصار هو مسجد المدائن بالعراق (٣) ، وقد أنشأه سعد بن أبى وقاص وأصحابه (٤) . فما كاد يدخل المدائن حتى « أمر الناس بايوان كبرى فجعل مسجدا للأعياد ، ونصب فيه منبرا ، فكان يصلى فيه وفيه التماثيل » (٥) . وعند انشاء البصرة قام عتبة بن غزوان ببناء مسجدها ، وعند تمصير الكوفة قام سعد بن أبى وقاص ببناء مسجد فيها ، ثم بنى سعد مسجد الأنبار (٦) . وكان مسجد الكوفة كمسجد البصرة فضاء مربعا مكشوبا تحيط به أسوار من القصب حولت فيما بعد الى أسوار من الطين واللين . وكان المسجدان يشبهان مسجد الرسول فى المدينة .

وفى مصر ، بنى عمرو بن العاص فى القسطنطينية أول مسجد فى القارة الافريقية . ويذكر (هل) (٧) أن عمرو استعان بمهندس نصرانى ، فقد كان عمرو مرتبطا بمعاهدة

- 
- (١) جوزيف هل : الحضارة العربية ( ترجمة الدكتور العدوى ) ص ٥٩  
(٢) حتى : تاريخ العرب ص ٣٢٤ ( ترجمة مبروك نافع ) .  
(٣) نخالف بذلك رأى الدكتور حتى الذى يذهب الى أن أول مسجد هو مسجد البصرة .  
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٩٨  
(٥) الطبرى - ٤ ص ١٧٧  
(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٩٨  
(٧) الحضارة العربية ص ٥٩

مع المسيحيين ، تقضى بترك كنائسهم وعدم التدخل في شؤون عبادتهم . وكان جامع عمرو مستطيل الشكل ، بسيطاً ، ليس محراباً ولا مئذنة ، وقد زوده عمرو فيما بعد بمنبر صنعه وأهداه إليه ملك النوبة المسيحي .

وفي الشام ، وجد العرب في دمشق كنيسة القديس يوحنا ، التي كان لها تأثير عميق في نفوسهم جعلهم يتخذونها مقراً لصلاتهم ، وكان بناء معمارياً فاخراً ، مشيداً على أطلال معبد وثني ، ولها باب عظيم ، فتكون سده من أعمدة كورنثية تعلوها تيجان ثمينة الزخرفة ، وتغطي قبابها صحن الكنيسة ، على حين تغطي الفسيفساء المذهبة المتلاثة جزءاً من جدرانها الداخلية . وأخذ المسلمون الأجزاء الشرقية لأنفسهم ، وأصبحوا يرون مع المسيحيين من باب واحد لأداء الصلاة في القم الخاص بهم ونقب المسلمون في بيت المقدس عن المسجد الأقصى ( معبد سليمان من قبل ) الذي تحدث عنه النبي ليلة أسرى به ، وشيد عمر عند المكان الذي عرج منه الرسول مسجداً<sup>(١)</sup> .

لما تولى معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة القديس يوحنا في المسجد بدمشق ، فأبى النصارى ذلك فأمسك ، وحاول عبد الملك بن مروان أن يدفع لهم مبلغاً من المال فأبوا أيضاً ، وأعاد الوليد بن عبد الملك نفس المحاولة وهدد بهدم الكنيسة ، ونفذ وعيده فهدم الكنيسة وأدخلها في المسجد . فلما تولى عمر بن عبد العزيز شكى النصارى إليه ما فعل الوليد بهم في كنائسهم ، فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم ، فكره أهل دمشق ذلك ، وأخيراً اتفق عمر مع النصارى على أن يترك لهم جميع كنائس الغوطة مقابل عدم مطالبتهم بكنيسة يوحنا<sup>(٢)</sup> .

كان مسجد المدينة أول مسجد صنع له محراب ، وسرعان ما أصبح المحراب ظاهرة عامة في كل المساجد ، وكان كالمذبح المسيحي يعتبر مكانه أقدس الأماكن في البناء ، ومن أجل ذلك كانت المحاريب يبالغ في زخرفتها كثيراً ، ونستطيع بناء على هذا أن نقرر أنها تعتبر المقياس الذي تقاس به تطور الأطرزة في فن الزخرفة الإسلامية .

(١) هل : الحضارة العربية ص ٥٩

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٣١

بعد مصرع على بن أبي طالب ومحاولة الاعتداء على حياة معاوية بن أبي سفيان، أدخل معاوية المقصورة على المسجد، وهو جزء في داخل المسجد يحيط به سياج. وكما أدخل الأمويون المقصورة، أدخلوا المئذنة، وعلى ذلك فبلاد الشام تعتبر الموطن الأصلي للمئذنة وفيها كانت المئذنة تأخذ شكل برج المرقب الوطنى أو برج الكنيسة المربع الذى تلاه. فقد كانت مئذنة المسجد الأموى فى دمشق فى الأصل مرقبا (ناطورا) يتبع كنيسة القديس يوحنا<sup>(١)</sup>.

ثم زيد الايوان على المساجد، وهو عبارة عن صحن كبير تقوم فيه الأعمدة الضخمة، ترد المطر وحرارة الشمس، كما تقوم فيه فى الوقت نفسه أقية الماء لوضوء المصلين، وأصبحت المساجد تضاء بالشموع والقناديل<sup>(٢)</sup>.

كانت المساجد التى شيّدت خلال العصر الأموى أكثر فخامة من المساجد التى شيّدت فى بداية الفتح العربى، ويعلّل (ديمومين)<sup>(٣)</sup> ذلك بأن الفاتحين من المؤمنين كانوا شديدى الاعجاب بفخامة الكنائس النصرانية، فأرادوا أن يظهروا قدرتهم على أن فى امكانهم أن يضارعوا النصرانية ويبنوا مساجد لا تقل جمالا عن كنائسهم.

#### دور المساجد فى حياة المسلمين العامة :

كانت المساجد فى فجر الاسلام مركزا من مراكز الحياة العامة : مركزا للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الى جانب وظيفته الدينية . كان المسجد مركزا للناس ، ومقرا للسياسة ، ومعددا للعلوم المختلفة ، فيه يجتمع الناس ، وفيه ينتقدون حكامهم ، وفيه تذاع قرارات الدولة ، أو تعلن الثورة ، وفيه تدرس العلوم والآداب والفقه ، فقد كان المسجد يختلف تماما عن مساجد اليوم ، ويمكننا أن نشبهه بالبرلمانات فى الوقت الحاضر ، فقد كان يشبه الميدان الرومانى كمركز للحياة السياسية والاجتماعية<sup>(٤)</sup>.

اتخذ ولاة الخلفاء الراشدين من المساجد أماكن مختارة يصرفون منها شئون الحكم ويحفظون فيها أموال المسلمين<sup>(٥)</sup>. ولعبت المساجد دورا فى بث روح

(١) حتى : تاريخ العرب ص ٣٢٧

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٥٣

(٣) النظم الاسلامية ص ٢٦٣

(٤) أرنولد : الخلافة ص ١٧

(٥) الطبرى : ٤ ص ١٩١

الثورة في نفوس أهالي الأمصار الإسلامية ضد عثمان بن عفان<sup>(١)</sup>. ثم أصبحت المساجد في عهد الدولة الأموية هي كل شيء بالنسبة لولاية الأمصار ، فقد كان على كل أمير أن يقصد الى مسجد الولاية حين يوليه الخليفة عليها ، وهناك يعلن سياسته الجديدة على الناس من منبرها ، وبعد قيامه بهذا الواجب التقليدي يصبح أميراً لهذه الولاية ووكيلاً للخليفة بصورة رسمية شرعية . وكانت كتب الخليفة وأوامره تقرأ على الناس في المساجد . وكثيراً ما كان الولاة الأمويون يعثون مناديبهم لينادوا في الطرقات العامة يدعون أهلها الى صلاة جامعة ولا يكون اليوم يوم جمعة ، ومعنى ذلك أن الوالي يريد الصلاة في المسجد ويريد أن يحضر اجتماعه كل المسلمين حتى يبلغهم أمراً أو يشرح سياسة جديدة ، وكان بعض الولاة يأمرون الشرطة باحضار الناس الى المسجد بالقوة ، وكان منادى زياد بن أبي سفيان ينادي في طرق الكوفة : « ألا برئت الذمة من رجل من الوفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد »<sup>(٢)</sup> . وكان زياد يخرج سريره من قصر الامارة الى مسجد الكوفة حتى يجتمع الناس حوله ، فقد كان يكره اجتماعهم في بيوتهم<sup>(٣)</sup> . وكانت المساجد المكان الذي تحشد عندها الجيوش ، وتخرج مناصداً وجهتها للقيام بالفتوح والغزوات .

كانت أرض المساجد تغطي عادة بالحصباء . وجرت عادة أهل العراق في مساجدهم أن يحصبوا ولائهم اذا لم يعجبهم حديثهم ، وكان المغيرة بن شعبه يسكت عن حصبه له ، ولكن زياد بن أبي سفيان أراد أن يمنع هذه العادة ، فلما حصبه أهل الكوفة في المسجد أرغم جميع الحاضرين على القسم على عدم اشتراكه في الحصب ، وقطع أيدي كل من أبوا القسم<sup>(٤)</sup> ، وأخيراً رأى زياد أن ينشئ المقصورة في مسجد الكوفة ليتجنب حصبه<sup>(٥)</sup> ، وكانت المقصورة عبارة عن سياج حول المحراب<sup>(٦)</sup> . أما الحجاج بن يوسف فكان يأمر حرسه بالوقوف على أبواب مسجد البصرة حتى اذا حصبه أهلها أعملوا فيهم القتل<sup>(٧)</sup> .

(١) الأصفهاني : الأغاني - ١١ ص ٢٨ ( طبعة دي ساسي ) .

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٢٥٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٦

(٤) الطبري - ٦ ص ١٣١

(٥) الطبري - ١ ص ١٣٢

(٦) مقدمة ابن خلدون ص ١٨٨

(٧) ابن قتيبة : الامامة والسياسة - ٢ ص ٣٢

كانت المساجد مركزا للقيام بالشعائر الدينية ، وكانت المصاحف تحفظ بالمساجد ، واهتم الولاة الأمويون بالأذان والخطب في المساجد . وكان المؤذنون يتوارثون -- عادة -- الآذان<sup>(١)</sup> . وكان بشر بن مروان بن الحكم أول من أحدث الأذان في العيدين ، وأول من جعل الخطبة خطبتين وقعد في الأولى منهما<sup>(٢)</sup> . وكانت الامامة في الصلوات الخمس في المساجد الحكومية لمن ينتدبه الوالى أو الخليفة ورزقه من بيت المال ، أما مساجد العامة فالامام يختار برضا المصلين ، أما الامامة في صلاة الجمعة فهي للوالى أو نائبه<sup>(٣)</sup> . وكان المختب يمنع اطالة الصلاة ، لأن الضعفاء يعجزون عن ذلك ، كما أن هذه الاطالة تعطل أصحاب الأعمال ، وكان الرسول ينهى عن ذلك دائما<sup>(٤)</sup> . كما كان المختب يعاقب كل من ترك صلاة الجمعة<sup>(٥)</sup> .

اتخذ المسلمون المساجد مركزا من مركز الحياة الاقتصادية ، فكانت مكانا يحتفظ به الخلفاء والولاة لحفظ الخزانة العامة ، وكان الصيارفة يجلسون على أبواب المسجد حيث يقومون بعمليات مبادلة العملة النقدية أو اقراض المحتاجين ، كما كان كثير من التجار يحرسون على عقد صفقاتهم التجارية في المساجد ، وكثيرا ما أقيمت الأسواق على مقربة من المساجد .

لعبت المساجد دورا كبيرا في النهضة العلمية والأدبية في صدر الاسلام ، وخاصة مساجد البصرة والكوفة ، فقد صارت هاتان المدينتان مركزين نشطين للحياة العلمية، ولم يكن في القرن الأول الهجرى مدينة تستطيع منافستها، ففيهما وضعت علوم العقائد والفقه ، وفيهما نشأت مدرسة النحويين واللغويين<sup>(٦)</sup> . ولذا يعتبر (نيكلسون)<sup>(٧)</sup> البصرة مركز الحياة العقلية في الاسلام . ولعل من الأسباب التي أدت الى ازدهار الحياة العلمية والأدبية في العراق في العهد الأموى أن أهل العراق رأوا أن ينصرفوا عن السياسة حتى لا يتعرضوا لاضطهاد ولاتهم الأمويين ، فوجهوا اهتمامهم الى الاشتغال بالعلوم والآداب ، كما أن

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٤٦

(٢) ابن رسته : الأعلام النفسية ص ١٩٩

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٣٠

(٤) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٢٤٣

(٥) المرجع السابق ص ٢٤٣

(٦) يارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٤٠

(٧) Lit. Hist. of the Arabs, P. 220

«لوالى أرادوا أن يصلوا الى مرتبة العرب ، فأقبلوا على تعلم اللغة العربية حتى اذا أجادوها بدأوا ينهلون من مناهل الأدب والعلم (١) .

شهدت المساجد الكثير من مظاهر هذه النهضة العلمية والأدبية ، وكان الكراهية بعض المسلمين للغناء والموسيقى والفنون أثره في نشاط المجالس الأدبية في المساجد (٢) . وكانت المساجد بمثابة مدارس يقصدها طلاب العلم ، فقد كان كل عالم يتخذ سارية من سوارى المسجد يجلس تحتها ، ويلتفت طلابه وتلاميذه حوله . وهناك كانت الصبية تتلقى دروس القرآن ثم العلوم العربية كالتفسير والحديث والفقه وأصول الدين والنحو واللغة والبيان والأدب . وكان المحتسب يراقب المعلمين حتى لا يقصرون في عملهم (٣) . وكثيرا ما شهدت المساجد المجالس الأدبية التي كان يعقدها العلماء ، وتدور فيها محاورات أدبية حول التفضيل بين الأمصار والمدن (٤) . كما شهدت المساجد كثيرا من المحاورات والمناقشات التي تدور حول العصبية القبلية وتفضيل قبيلة على أخرى وخاصة بين تميم وقيس .

كان القصص يتخذون من المساجد مكانا مختارا لقص قصصهم . فيجلس القاص بالمسجد ويلتفت حوله الناس ، فيروى لهم القصص والتواريخ التي تمتزج فيها العبرة بالتسلية . وكان هناك نوعان من القصص : قصص العامة ، وقصص الخاصة ، « فأما قصص العامة فهو الذي يجتمع اليه النفر من الناس يعظم ويذكرهم ، فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه ، وأما قصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية ، ولى رجلا على القصص ، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعا للخليفة ولأهل ولايته وحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشتركين كافة (٥) » .

كان على بن أبي طالب يأمر بطرد القصص من المساجد ، أما معاوية فقد اعتمد على القصص في تأييد ملكه ودولته . وأشهر من قام بالقص في العراق الحسن البصرى ، وكان يعتمد على التذكير بالآخرة ، ويستخرج العظة مما يقع حوله من أحداث ، وكان يجلس في آخر مسجد البصرة وحوله الناس يسألونه

(١) انظر كتابنا ( تاريخ العراق في ظل الحكم الاموى ) ص ٢٢٩

(٢) الأصفهاني : الأغاني ج ٢ ص ١١٩

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٢

(٤) الأصفهاني : الأغاني ج ٥ ص ١٤٩

(٥) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٥٣

في الفقه وفي حوادث الفتن التي عاصرها فيحدثهم بما صح عنده من حديث ، ويقص عليهم فيعظهم ويذكرهم<sup>(١)</sup> . ومن أبرز القصاص صالح بن مسرح ، أحد زعماء الخوارج ، وكانت كل قصصه تدور حول الأمر بالتقوى ، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، وكان يكثر من ذكر الموت<sup>(٢)</sup> .

وكانت المساجد أيضا مسرحا لانشاد الشعر ، فكان الشعراء على اختلاف أديانهم وأوطانهم ، يشدون قصائدهم من فوق منابرهم فكان الأخطل الشاعر النصراني يدخل مساجد الشام والعراق فيقف المسنون له اجلالا<sup>(٣)</sup> . وشهدت المساجد الكثير من المفاخرات القبلية والحزبية ، والمفاخرات والتقائض بين الشعراء ، وخاصة بين جرير والفرزدق ، وكثير والأحوص ، والكميت والطرماح<sup>(٤)</sup> . وكان الكميت نزارى شيعى يتعصب لمضر ( العدنانية ) ، بينما كان الطرماح شامى قحطاني يتعصب للقحطانية ( الينبية ) ، فتعصب الكميت لأهل الكوفة بينما تعصب الطرماح لأهل الشام<sup>(٥)</sup> .

استفاد المسلمون من المساجد في بعض الأغراض الاجتماعية المختلفة ، فيها يتلاقى الناس فيتحدثون ويتسامرون ويتألفون ، ويقيمون فيها بعض احتفالاتهم في الأعياد والمواسم الدينية والاجتماعية ، ويعقدون بها عقود الزواج . وكانت ( الخطابات ) يجلسن في المساجد لممارسة مهنتهن ، فيحدثنا ابن عبد ربه<sup>(٦)</sup> عن امرأة كانت تداوم الجلوس في مسجد البصرة ، وكانت تمتهن التوفيق بين الرجال والنساء بالزواج ، وكان الرجال يحتشدون حولها في المسجد وكل يذكر لها الشروط التي يرى وجوب توفرها في زوجة المستقبل . وكان زياد بن أبي سفيان ونائبه سمرة بن جندب يجلسان في مسجدى البصرة والكوفة لحل المشاكل الزوجية وازالة الخلاف بين الأزواج والزوجات .

(١) احمد أمين : فجر الاسلام ص ١٩٢

(٢) الطبرى > ٧ ص ٢١٧

(٣) الأصفهاني : الأغاني > ٧ ص ١٧١

(٤) الأصفهاني : الأغاني > ٧ ص ٦٨ و > ١٠ ص ١٤٩

(٥) الأصفهاني : > ١٥ ص ١٠٩

(٦) العقد الفريد > ٦ ص ١٠٧

لا تأخذ على المساجد في فجر الاسلام الا أنها كانت مظهرا من مظاهر العصية القبلية ، فقد كانت كل قبيلة تقيم مسجدا ليصلى فيه أبناء القبيلة ، أما المساجد الجامعة فكانت مقسمة الى أقسام قبلية ، فتختص كل قبيلة بجزء من المسجد ، فلا تلتقى بغيرها من القبائل . ففي الكوفة - مثلا - كان مسجدها أول بناء خطه سعد بن أبي وقاص ، وحرص سعد أن يثقل هذا المسجد الروح القبيلة أصدق تمثيل ، فجعل لكل قبيلة مكانا بهذا المسجد<sup>(١)</sup> . وكان هذا التقسيم القبلى للمسجد يناقض الحكمة التى قصدتها الله من الصلاة ، وهى أن يتساوى جميع المسلمين بين يدى خالقهم . وقسمت المدن الاسلامية الجديدة فى الأمصار الى أقسام قبلية فكان لكل قسم قبلى مسجد خاص بهذه القبيلة ، ولا شك أن هذا التقسيم أدى الى استمرار الفوارق القبلية واذكاء نيران العصية بين القبائل .

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٩٤

## أهم مصادر البحث

- أحمد أمين : فجر الاسلام ، ( مطبعة الاعتماد ١٩٢٨ م )
- الأصفهاني : الأغاني ، ( مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ )
- بارتولد : ( ف . ) تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ( مطبعة المعارف ١٩٤٢ )
- البلاذري : فتوح البلدان ( مطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م )
- حتى : الدكتور فيليب ، تاريخ العرب ، ترجمة مبروك نافع ، القاهرة .
- ابن خلدون : المقدمة ، ( المطبعة البهية المصرية ) .
- الدينوري : الأخبار الطوال ، ( لندن ١٨٨٨ ) .
- ديموبين : النظم الإسلامية ، ترجمة صالح الشماح وفيصل السامر ( بغداد ١٩٥٢ ) .
- ابن رسته : الأعلام النفيسة ( لندن ١٨٩١ ) .
- الطبري : تاريخ الأمم والملوك ( المطبعة الحسينية بالقاهرة ) .
- ابن عبد ربه : العقد الفريد ( لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ ) .
- على حسنى الحروبلى : الدكتور ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ( دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩ ) حياة محمد ( تأليف واشنجتون أرفنج ) ، ( دار المعارف ١٩٦٠ ) .
- ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ( القاهرة ١٣٢٥ هـ ) .
- المعارف ( المطبعة الإسلامية ١٩٣٥ ) .
- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ( لندن ١٩٠٦ ) .
- نيكلسون : رينولد ، ( Alit. Hist. of the Arabs ( London 1923 )
- هل : ( ي ) الحضارة العربية ، ترجمة الدكتور إبراهيم العدوى ( من سلسلة ألف كتاب ) .